

الرياضيات و التجليات

جلال الحاج عبد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله و الصلاة و السلام على أشرف الخلق محمد و على آل بيته الأطهار .

من الصعب لمس نهايات الأمور ، من الصعب الإشراف على عواقب الأمور ، لكن هناك أمر من بين الأمور بانتهى نهايته و تجلت عاقبته إلا وهو العقل ! بانتهى هذه النهاية و تجلت هذه العاقبة في عقول أكثر العلماء و الفلاسفة . هناك نماذج عديدة لهذا التجلي و من أهمها و ما يجب الوقوف عندها هي ثلاث شخصيات بانتهى نهاية و تجلت عاقبة عقولهم من خلال مشروعاتهم العقلي و هؤلاء هم : نيتشه ، و شوبنهاور ، و أبو حامد الغزالي .

لماذا هذه الشخصيات و ما هو وجه التشابه بينهم ؟ المشروع هو نهاية شئ تبدأ منه الأشياء ، كل من هذه الشخصيات هو نموذج عقلي لطيف واسع من العقول فنيته ذلك الفيلسوف الذي صنع الإنسان المثالي من عبثه فلسفيه ما كان لعقله إلا أن يصل إلى غاية العبثية في شخصية مثاليه (تقمصها في داخله) هذا ليس تناقض و إنما سراب ، شئ يراه و لا يبلغه هذه هي نهاية عقله ، و تجلى بالجنون و ما هو بجنون ! و شوبنهاور ذلك الرجل الذي أعطى الإرادة ما لا أعطها غيره ، رآها و اقترب منها و ما استطاع نيلها ، فتجلى عقله بسلوك لا إرادي و هو إنفراده بكلبه ، و أبو حامد الغزالي ذلك الفيلسوف اللا متفلسف، ترائت له من الحقائق ما لا يمكن الوصول إليها ، يرى ما لا يمكن بلوغه فشعر بوسع الفاصلة فما كان على عقله إلا أن يتجلى بمكنسة يكنس فيها جامع دمشق !

جنون ، و كلب ، و مكنسة هذه قبسات من تجليات العقل ! هذه هي نتائج غاية الرجل المثالي ، و غاية الإرادة ، و غاية الحقيقة .

هل اللوم عليهم ، أم على العقل و تجلياته ؟ هل هذه هي نهاية العلم و سالكيه ؟

تتجلى تناقضات و شطحات أكثر العلماء في مرحلة متطورة من مسيرتهم العلمية ، لا تقتصر على مرحلة زمنية خاصة ، كالشيخوخة . هناك تباين بين تناقضات و شطحات الشيخوخة و مرحلة البلوغ العقلي المتطور . فمهما تطور البلوغ العقلي ازدادت الفاصلة بين الإدراك العقلي و حقيقة الأمور ، لذلك يرى ما لا يقدر على بيانه ، و يبين ما لا يقدر على فهمه ، فإما أن يجن ، و إما أن يلجأ لكلب و مكنسة . و هناك تجليات عديدة جرت الويلات للناس و الى أصحابها .

فما بيّنته من تجليات العقل لا يمكن علاجه ، فلقد وقع فيه الفيلسوف و المتفلسف ، وقع فيه العالم و المتعلم ، لا حدّ و لا حدود لهذه التجليات و لا يمكن معالجتها ، لأن من يعالجها سيتجلى عقله بمتجلي آخر و هكذا . لكن هل سنستسلم لهذه التجليات ؟ بالطبع لا ، لأن لكل تجلي تجليات .

أخترت هذه لتكون مقدمة لبحثي على مدى و غاية التعقل الرياضي ، هل سنستسلم للتجليات الرياضيه ؟ هل التجلي و التعقل الرياضي مفسدة عقلية و نافذة شيطانية ؟

ما قاله أبو حامد الغزالي في العلوم الرياضية ، بعد أن صنف العلوم إلى : رياضية ، و منطقية ، و طبيعية ، و إلهية ، و سياسية ، و خلقية .

"أما الرياضية : فتتعلق بعلم الحساب ، و الهندسة ، و علم هيئة العالم ، و ليس يتعلق شئ منه بالأمور الدينية نفيًا وإثباتًا ، بل هي أمور برهانية لا سبيل الى مجادتها بعد فهمها و معرفتها . و قد تولدت منها آفتان :

إحداهما أن من ينظر فيها يتعجب من دقائقها ، و من ظهور براهينها ، فيحسن بسبب ذلك اعتقاده في الفلاسفة ، و يحسب أن جميع علومهم في الوضوح و وثاقة البرهان كهذا العلم. ثم يكون قد سمع من كفرهم و تعطيلهم و تهاونهم بالشرع ما تناولته الألسن ، فيكفر بالتقليد المحض ، و يقول : لو كان الدين حقاً لما أختفي على هؤلاء مع تدقيقهم في هذا العلم ! فإذا عرف التسامح كفرهم و جردهم فيستدل على أن الحق هو الجحد و الإنكار للدين . و كم رأيت ممن ضل عن الحق بهذا القدر و لا مستند له سواه و إذا قيل له : الحاذق في صناعة واحدة ليس يلزم أن يكون حاذقاً في كل صناعة ، فلا يلزم أن يكون الحاذق في الفقه و الكلام حاذقاً في الطب ، و لا أن يكون الجاهل بالعقليات جاهلاً بالنحو ، بل لكل صناعة أهل بلغوا فيها رتبة البراعة و السبق ، و إن كان الحمق و الجهل قد يلزمهم في غيرها . فكلام الأوائل في الرياضيات برهاني و في الإلهيات تخميني ، لا يعرف ذلك إلا من جربه و خاض فيه ، فهذا إذا قرر على هذا الذي أتخذ بالتقليد ، لم يقع منه موقع القبول بل تحمله غلبة الهوى ، و شهوة البطالة ، و حب التكايس على أن يصر على تحسين الظن بهم في العلوم كلها .

فهذه آفة عظيمة ، لأجلها يجب زجر كل من يخوض في تلك العلوم ، فإنها و إن لم تتعلق بأمر الدين ، لكن لما كانت من مبادئ علومهم يسري إليه شرهم و شؤمهم ، فقل من يخوض في آفة إلا و ينخلع من الدين ، و ينحل عن رأسه لجام التقوي " [المنقذ من الضلال تأليف حجة الاسلام أبي حامد الغزالي] .

يتضح من كلامه أنه لا يعارض العلوم الرياضية ، لكن يعارض من يسلك طريق الرياضيات الى الإلهيات .

السؤال ، أي العلوم هي الأجدر بشقّ الطريق الصحيح و القويم الى الإلهيات ؟ هو ينبغي اعتماد الطرق الرياضيه و الطبيعیه و المنطقية للوصول منها الى الحقائق الإلهية .

إذا كان الرياضيين قادرين على إقامة البراهين الصحيحة و القويمة في المجال الرياضي ، فهذا لا يمكن أن يكون دليلاً على إتقانهم البراهين الصحيحة في المعرفة الإلهية ! هذه إشكالية يمكن التمعن بها لا تعميمها . يمكن البحث بها و لا يمكن تكفيرها . هل يمكن تسمية كهذه الحجج ، بحجج تعطيل المعرفة الإلهية ؟ نعم ، لأن طرق الوصول إلى الله بعدد أنفاس الخلائق ! فلم لا تكن كذلك بعدد أنواع العلوم ! أحياناً تصبح المعرفة أشبه بجسم عليه قوى متعددة محصلتها صفر ، هذه هي العقليه اللا وصوليه التي تتجلى بالأصولية . لا يمكن لمس نهايات الأمور ، و لا يمكن الأشراف على عواقب الأمور ، إلا العقل بانته نهايته و تجلت عاقبته ، من خلال بعض أقوال العقول . ميل الغزالي إلى الفلسفة و هذا يرجع الى التكوينه الفلسفيه المستفحلة على عقليته ، و في نفس الوقت هناك معرفه دينيه شديده مكتسبه تساوي في القوة و تعاكس إتجاه ميلوه الذاتي الى الفلسفة ، عندها يتوقف الإبداع في كهذه العقول ! عندما يتعارض الميل الذاتي مع المعرفه المكتسبه ما على العقل إلا أن يتجلى بالجنون و الكلب و المكنسة .

فلنفتح أبواب الشياطين ! الفلسفه الرياضيه أمام خيارين فلسفيين ، إما بناء نظريه فلسفيه على أشياء و أمور و مفاهيم لا متناهية الصغر ، و إما على أشياء و أمور و مفاهيم لا متناهية الكبر . لعبت المفاهيم اللا متناهية الصغر دوراً كبيراً في تاريخ العلم و الفلسفة و كانت اللبنة لبناء مذاهب فلسفيه أنسلخت من اللاهوت الى الناسوت أنسلاخاً جرّدها تجريداً كاملاً من كل ما هو غيبي حتى هيمنت المادة على مفاهيمها و أصبحت النموذج الفلسفي للمادة ، بينما ظلت المفاهيم اللا متناهية الكبر بعيدة عن متناول الفلاسفة و ذلك لأنقاء مفاهيمها الفلسفيه بالمفاهيم الدينيه في مفهوم قوة عظيمة و مثالية تجلت بالمفاهيم الدينيه بمفهوم - الله - فابتعدت عنها الفلسفه الماديه لعدم إمكانها تقنين هذه القوة بقوانين ماديه ، و قننت الفلسفه الدينيه مفهوم - الله - بالقوانين الغيبية ، تلك القوانين التي تحاشتها و ردتها

الفلسفة المادية ، فبقت المفاهيم اللا متناهية الصغر متربعة على عرش الفلسفة المادية و المفاهيم اللا متناهية الكبر متربعة على عرش الفلسفة الإلهية . إمكانية تعامل الرياضيات مع كلا هذين المفهومين اللا متناهيين صغراً و كبراً فتح الباب على مصرعيه أمام الرياضيات بأن تدخل و تتدخل بالفلسفه المادية و الفلسفة الدينيه . حتى طغت عظمة نتائجها المادية على إستنتاجاتها الغيبية ، فأثارة حفيظة بعض اللاهوتيين المسيحيين فكفروا الرياضيات و شبهوا العاملين بالرياضيات بالشياطين . ذهبوا الى أقصى ما ذهب إليه المسلمين !

ما هي الرياضيات ؟ هل سأعرفها كتعريف الكتب المدرسية ؟ بالطبع لا ! سأعرفها تعريفاً نضيع فيه ، أقول : الرياضيات هي كل ما بين الحساب و الهندسة ! كل تعريف غير هذا لا يتناسب مع مضمون البحث هذا ، فإذا و وضعت حداً لتعريف الرياضيات ستخضع جميع البحوث لهذا التعريف ، عندها يجب ألقاء اللوم على من يتعامل و على من لا يتعامل مع الرياضيات ، و لكي لا نلقي اللوم على أحد اخترت هذا التعرف للرياضيات ، كل ما بين ماذا ؟ لا يمكن تحديده .

ما هو الحساب و ما هي الهندسة ؟ الحساب هو العدد و الهندسة هي الخطوط ، كل الأعداد من الواحد و كل الخطوط من النقطة ، و لا ندري ما الواحد و ما النقطة !

لاحظنا كيف يقلب التعريف الموازين حتى و إن كان وجهة نظر . هذه هي العلوم الرياضية ، إما أن تصونك من الإشتباهاات المادية و تلقيك في التناقضات الغيبية ، و إما أن تصونك من الإشتباهاات الغيبية و تلقيك في التناقضات المادية . لا أحد يمكنه التخلص من عوامة الرياضيات . الدخول لأي مطب من مطبات الرياضيات سيوقعك في فلسفة

الرياضيات ، و سيجرك هذا الوقوع الى ماهية الأمور و هناك تعجز من ربط هذه بتلك ، فتقع في العوامة . لا تخلوا جميع العلوم من هذه العوامة ، و بنظري عوامة الرياضيات هي الأكثر اضطراباً ، و هنيئاً لمن إجتازها .

لو إن الفقهاء الذين لديهم جرأة الإفتاء بالتكفير إتقنوا الرياضيات ، لأفتوا بتكفيرها و تكفير من يعمل بها . كذلك لو إن الفقهاء الذين لديهم جرأة الإفتاء بالتفكير إتقنوا الرياضيات ، لفرضوها فرضاً واجباً ! إثنان يعوزان بالله من الرياضيات ، عالمها و جاهلها ، و الحمد لله لا يوجد من يعلم الرياضيات كلها ، و لا يوجد من يجهلها كلها ، لذلك إختبأ العوذ بالله منها!

تفتح الرياضيات كل أبواب العقل ، لذلك يمكن إتهامها بأنها منفذ الشيطان و الأفكار الشيطانية ، و هذا المنفذ هو اللقمة المستساغة للفلسفة ، فالفلسفة بكل أطيافها بحاجة الى الرياضيات أكثر من حاجة الرياضيات الى الفلسفة . فالرياضيات ليست تعقل و إنما تفكر ، لأن الفكر يلقي العقل في الرياضيات و هذا ما تحتاجه الفلسفة . مرت الفلسفة في مسيرتها التاريخية بثلاث منعطفات هي ، الفلسفة الإفلاطونية ، و فلسفة ابن سينا (إذا صحت هذه التسمية)، و الفلسفة الديكارتيه ، و كل مؤسسين هذه الفلسفات هم رياضيين و البناء الفلسفي لهذه الفلسفات هو رياضي . دعمت الهيبة الرياضيه هذه الفلسفات ، حتى أصبحت هذه الفلسفات منطلق الكثير من الفلسفات التي أعقبها .

كذلك هناك ثلاث منعطفات في تاريخ الرياضيات ، المنعطف الأول هو المنعطف اليوناني، و الثاني الشرقي الإسلامي ، و الثالث الغربي المسيحي .

كانت هناك هالة من القداسة على الرياضيات اليونانية ، رفعتها الرياضيات الشرقية الإسلامية ، و أزلتها الرياضيات الغربية المسيحية .

في هذه المنعطفات أساء إسبينوزا الى الرياضيات و الى الفلسفة بتفسيره القضايا الفلسفية رياضياً .

في القضايا العقلية من الخطأ أن توظف كل ولآئك أو كل حقدك لتحرير مقال ما ، فمن دخل في علم تعقل ، و إن إستمر زهد ، و إن حقق تصوّف ، و إن كشف جنّ ، عندما تصبح الرياضيات ذوق يصبح الرياضي فلكي ، و عندما تصبح الرياضيات شوق يصبح الرياضي فيلسوف ، و عندما تصبح الرياضيات سلوك يصبح الرياضي فيزيائي ، القفزات اللا ذوقية و اللا شوقية و اللا سلوكية من الرياضيات الى الفلك و الفلسفة و الفيزياء هي الجنون بعينه .

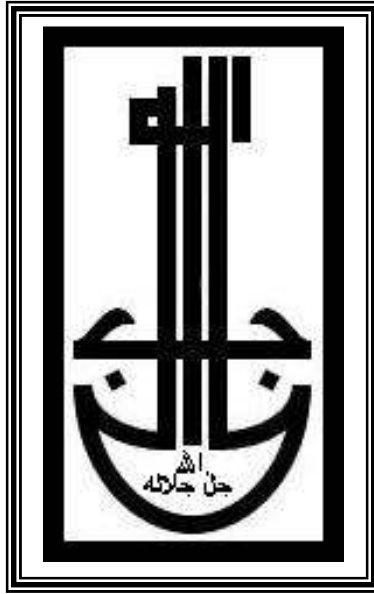
كشفت مبرهنة فيرما الأخيرة ، كل فحوى الرياضيات من زيف ، و عظمة ، و شيطنة ، و ذكاء ، لا بعدم إمكانية الوصول إلى حلول فحسب و إنما كشفت الوجه الآخر للرياضيات و هو : ما لا يُراد إثباته قدّ ثبت على صفحات ، و ما يراد إثباته كانت الحاشية لا تسع لإثباته!

إستعار فيرما هذه الحاشية الضيقة من فلسفة الدين ، ثم إستعارت الفلسفة الحديثه حاشية فيرما و عممتها على الورق و العقول لتمرير كل مفاهيمها ، بعد هذه الحواشي الضيقة أصبح تواطاً شديد بين الرياضيين و الفلاسفة ، الرياضيون يحلونّ المسائل بالرياضيات ، و الفلاسفة يحولون (بالفلسفة) المسائل المحلولة ، إلى مسائل .

هذا التواطأ هو ليس فقط بين الرياضيين و الفلاسفة ، بل هو كذلك بين علومهم . بنيت أكثر العلوم على ثوابت لكن الفرض فيها ممكن ، إلا العلوم الرياضية بنيت على فرضيات و أصبح كل شئ فيها ثابت ، الفرض فيها غير ممكن ! و هذا يسوقنا للإقرار بوجود أفق لأكثر العلوم ، إلا العلوم الرياضية فلا أفق لها ! لأن كل علم في حد ذاته هو عبارة عن مقوله عقليه متناقضه ، إلا الرياضيات في حد ذاتها و خارج ذاتها هي مقوله متناقضه عقلياً ! في أكثر العلوم ، يمكن تجاهل أو غضّ النظر عن بعض الكميات ، بعض المقادير ، بعض القيم إلا في الرياضيات (تلك التي بين الحساب و الهندسة) ! لذلك في هذه الرياضيات من إستعان بها لإثبات أمر غيبي ، فكذلك يمكنه بها ردّ هذا الإثبات . و إن عجز عن الإثبات، أو عن ردّ الإثبات فليلقي اللوم على ضيق الحاشية !

جلال الحاج عبد

2008-8-8



موقع جلال الحاج عبد

www.jalalalhajabed.com

البريد الإلكتروني :

jalal.alhajabed@hotmail.com

jalal.alhajabed@yahoo.com